مدفن البطاركة الموارنة الجماعيّ في وادي قاديشا (١٤٤٥-١٨٤٥): قصَّة تطويب البطريرك إسطفان الدويهي (١٦٣٠-١٧٠٤) من منظور علم الآثار والأنثروبولوجيا الطّبيّة–الشرعيّة وعلم الوراثة

ندى إلياس* – بيار الزلوعا**

الملخّص

ولد البطريرك الماروني اللبنانيّ إسطفان الدويهي في العام ١٦٣٠ وتوفّي في العام ١٧٠٤. ساهم بشكل بارز في تطوير التعليم وتنظيم الليتورجيا، وتوثيق تاريخ الموارنة والمنطقة. في العام ٢٠١٨، بدأت الكنيسة المارونيّة عمليّة قانونيّة في الفاتيكان لتطويبه، ممّا دفعنا إلى بدء دراسة متعددة الاختصاصات للعثور على رفاته وتحديد هويّته جزءًا من عمليّة التطويب. تضمَّنت الدراسة تنقيبات أثريّة، تحقيقات أنثروبولوجية طبيّة–شرعيّة، ودراسات جينيّة كشفت عن بيانات مهمّة.

في هذا البحث، سيتمّ استعراض التقنيّات المستخدَمَة ومناقشة النتائج الحاليّة المُستخلَصة المتعلقة بمراحل الدراسة الأربعة؛ من عمليات التنقيب الأثريَّة، مرورًا بالدراسة الأنثروبولوجيّة الطبيّة–الشرعيّة، إلى فحوصات الحَمْض النوويّ الحديث والقديم، وأخيرًا مرحلة التحليل الشامل. فتمّ إجراء تنقيبات في المدفن الجماعيّ في كنيسة مارينا بوادي قاديشا، حيث تمّ العثور على رفات لعدّة بطاركة موارنة دفنوا بين عامي ١٤٤٥ و١٨٥٤. ركّزت الدراسة على تحديد هويّة البطاركة باستخدام تقنيّات تحليل الحَمْض النوويّ والتأريخ بالكربون. وكشفت النتائج الأوّليّة عن احتماليّة عالية لكون إحدى الجماجم تعود إلى البطريرك إسطفان الدويهي. كما سلّطت الدراسة الضوء على

*أستاذة في قسم الفنون والآثار، بالجامعة اللبنانية. البريد الإلكترونيّ: nada.elias@ul.edu.lb
**أستاذ جامعيّ. البريد الإلكترونيّ: pierre.zalloua@gmail.com

الممارسات الدفنيّة في تلك الفترة، وأهميَّة المدفن الجماعيّ في تاريخ الكنيسة المارونيَّة، ما سيسهم في تعزيز فهم تاريخ الموارنة والبطاركة المدفونين في قاديشا. وتُعدّ هذه الدراسة خطوة مهمّة نحو حفظ التراث الروحيّ والتاريخيّ للكنيسة المارونيّة، وتأكيد هويّة البطريرك إسطفان الدويهي باعتباره شخصيَّة محوريَّة في تاريخ الكنيسة.

الكلمات المفاتيح: اسطفان الدويهي، تطويب، موارنة، تنقيب أثري، أنثروبولوجيا طبيّة–شرعيّة، دراسات جينيّة.

المقدّمة

في بداية ربيع العام ٢٠١٨، أطلقت الأبرشيّة البطريركيَّة المارونيَّة، نيابة إهدن زغرتا[١] مشروعًا أثريًّا، طبيًّا–شرعيًّا شاملًا وبموافقة المديريَّة العامَّة للآثار في لبنان، باعتباره جانبًا من دعوى تطويب البطريرك إسطفان الدويهي (١٦٣٠–١٧٠٤). كان الهدف الرئيسيّ للمشروع العثورَ على رفات البطريرك إسطفان الدويهي[٢] **(الصورة رقم ١)**. وبالتالي، فالمنهج المستخدَم في هذا المشروع اعتمد بشكل رئيسيّ على تداخل الدراسات التاريخيَّة والأثريَّة والأنثروبولوجيّة والجينيّة.

تركّزت المرحلة الأولى من هذا المشروع على التنقيبات الأثريّة لرفات سبعة عشر بطريركًا مارونيًّا، جُمعوا معًا في مقبرة جماعيَّة ثانويَّة في كنيسة القدِّيسة مارينا بالوادي المقدَّس **(الصورة رقم ٢)**. ثمّ، ركّزنا في المرحلة الثانية من المشروع على التحقيق الأنثروبولوجيّ الجنائيّ للرفات الذي تمّ التنقيب عنه. وتركّزت المرحلة الثالثة

[١] اللجنة البطريركيّة المارونيّة التي شكّلها البطريرك بشارة بطرس الراعي برئاسته تضمّ الأعضاء التالية أسماؤهم: المطران جوزيف نفّاع؛ أسقف أبرشيّة جبّة بشرّي وزغرتا؛ الخورأسقف إسطفان فرنجية؛ الأب بولس القزّي؛ الأب أنطونيوس جبارة؛ الأب حبيب صعب؛ الأب خليل عرب؛ الأب يوسف طنّوس؛ السيّد جوزيف رعيدي؛ السيّد عبدو الحلو؛ الدكتور أنطوان نجيم؛ الأمّ دومينيك الحلبيّ؛ الأب ماجد مارون؛ السيّد ماجد الجعيتاني؛ السيّد يوسف زيدان والدكتور قبلان دحدح.
الفريق العلميّ يضمّ البروفسور بيار الزلوعة (المسؤول عن الدراسات الجينيّة) بإدارة مشتركة مع الدكتورة ندى إلياس (المسؤولة عن التنقيبات الأثريَّة والدراسات الأنثروبولوجيّة الطبيّة-الشرعيّة)، والمديريَّة العامَّة للآثار الممثّلة بمديرة منطقة الشمال السيّدة سمر كرم. وساعد الفريق العلميّ كُلٌّ من السيّد شربل عزيزي، الأب نافذ صعب، السيّد ميلاد بشارة ورئيس بلديّةَ زغرتا السيّد ميلاد دحدح.

[٢] البطريرك إسطفان الدويهي (١٦٣٠ - ١٧٠٤) يظهر في الجداريّة لتتويج العذراء في كنيسة دير سيّدة قنّوبين، والتي كَلّف البطريرك برسمها الأب بطرس القبرصيّ في العام ١٧٠٣. وتصوّر هذه الجداريَّة تتويج العذراء مريم على يد الآب والابن والروح القدس يجلسون فوق غابة الأرز في جبل لبنان، وعند أقدامهم، على جانبَيْ مذبح، يقوم خمسة عشر بطريركًا مارونيًّا بتقديم العطايا، ثمانية على اليمين (يمين العذراء) وسبعة على اليسار (Abou Samra, 2016:176-185; Nasr, 2019:141-142). ومن النصّ الوارد في أسفل الجداريّة، يمكن التعرّف على أسماء كلّ من البطاركة الممثّلين، إذ قام الفنّان بوضع رقم سريانيّ لكلّ منهم في الجداريّة. ففوق رأس البطريرك إسطفان الدويهي، تمّ رسم الرقم ١٤ بالسريانيّة. وقد استمرّ مشروع رسم الجداريَّة من العام ١٧٠٣ إلى العام ١٧٠٥، أي بعد سنة واحدة من وفاة البطريرك الدويهي، وخلفه البطريرك جبرائيل البلوزانيّ (1704-1705)، حيث تمّت إضافة صورتهما إلى الجداريَّة بعد وفاتهما.

على استخراج الحَمض النوويّ القديم وتحليله، وهي لا تزال جارية بهدف تحديد رفات البطريرك الدويهي. وستركّز المرحلة الأخيرة على تحليل البيانات البيولوجيّة والتاريخيّة معًا، وهي خطوة أساسيَّة في تحديد هويَّة معظم الأفراد الذين تمّ استخراجهم في أثناء عمليّات التنقيب الأثريّ **(الصورة رقم ٣)**.

ويَقع مدفن البطاركة الموارنة الجماعيّ الثانويَّ في كنيسة القدِّيسة مارينا بقنّوبين التي تَبعُد حوالى مئةً وأحد عشر كيلومترًا شمال بيروت. وتَقع كنيسة القدّيسة مارينا على بُعد خمسين مترًا إلى الشمال من دير سيّدة قنّوبين **(الصورة رقم ٤)**. وأظهرت التنقيبات الأثريَّة (٢٠١٨–٢٠١٩) والتحقيقات الأنثروبولوجيّة والجينيّة (٢٠١٩–٢٠٢٤) كميَّة كبيرة من البيانات المتعلِّقة ببطاركة الطائفة المارونيّة الذين دفنوا في قنّوبين بين العام ١٤٤٥ والعام ١٨٥٤. ويَهدف هذا المقال إلى عرض النتائج الأوّليَّة للدراسة الأثريَّة في المدفن الجماعيّ الثانويّ للبطاركة من خلال الدراسات التاريخيّة والأركيولوجيّة والأنثروبولوجيّة والجينيّة معًا.

الصورة رقم ١: لوحة جداريَّة تصوّر تتويج السيّدة مريم في دير قنّوبين. رُسم البطريرك إسطفان الدويهي (١٦٣٠ – ١٧٠٤) في الجداريّة على يمين جبل الأرز، وفوق رأسه يَظهر الرقم ١٤ مرسومًا باللغة السريانيَّة (ܐ٤)، (نيسان ٢٠١٨)[٣].

[٣] جميع صور هذا المقال مأخوذة بعدسة الباحثة (ندى إلياس).

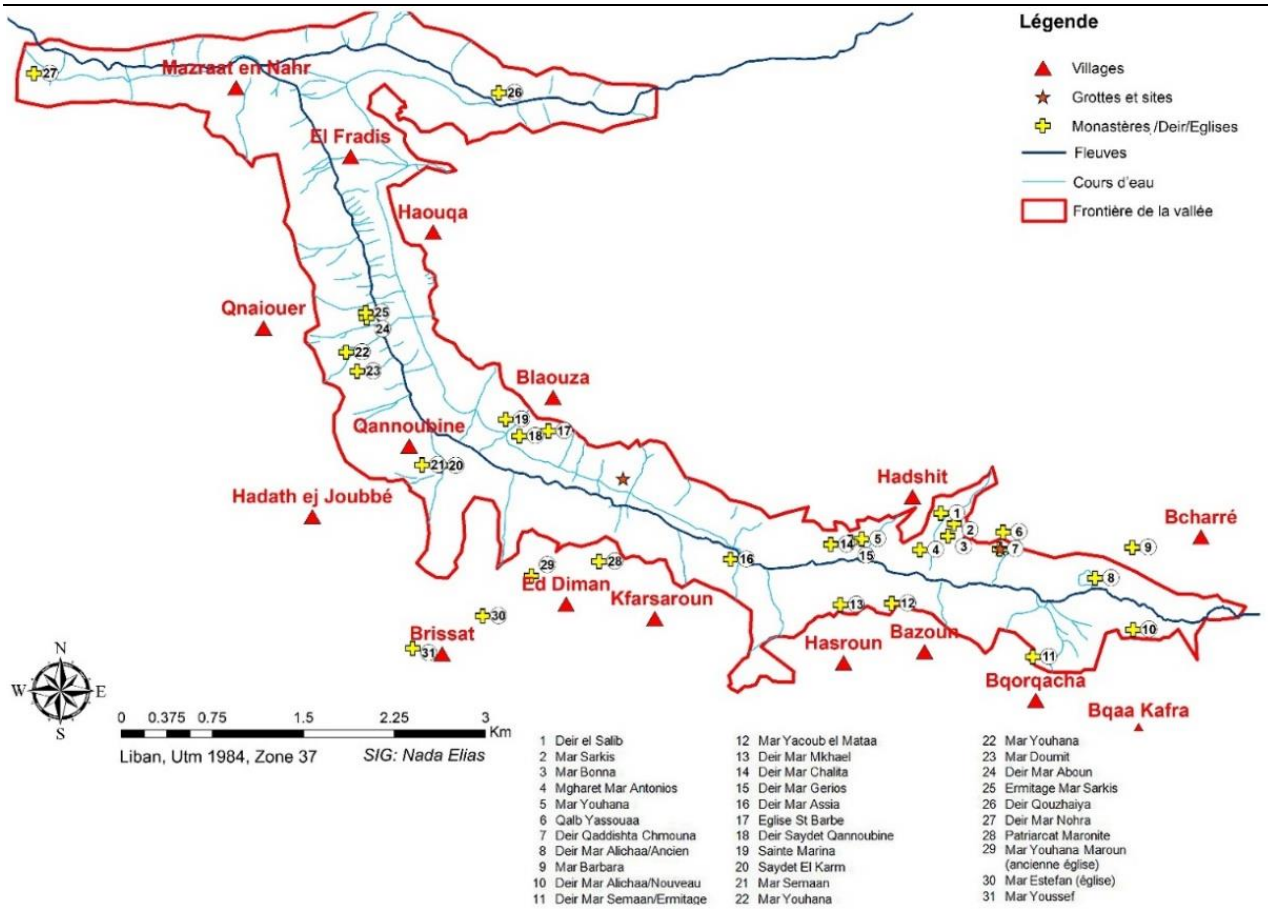

الصورة رقم ٢: خريطة لوادي قاديشا مع مواقع المعالم المسيحيَّة الرئيسيَّة.

الصورة رقم ٣: مراحل الدراسة الرئيسيَّة لمشروع الأبحاث الطبيَّة–الشرعيَّة للبطريرك إسطفان الدويهي.

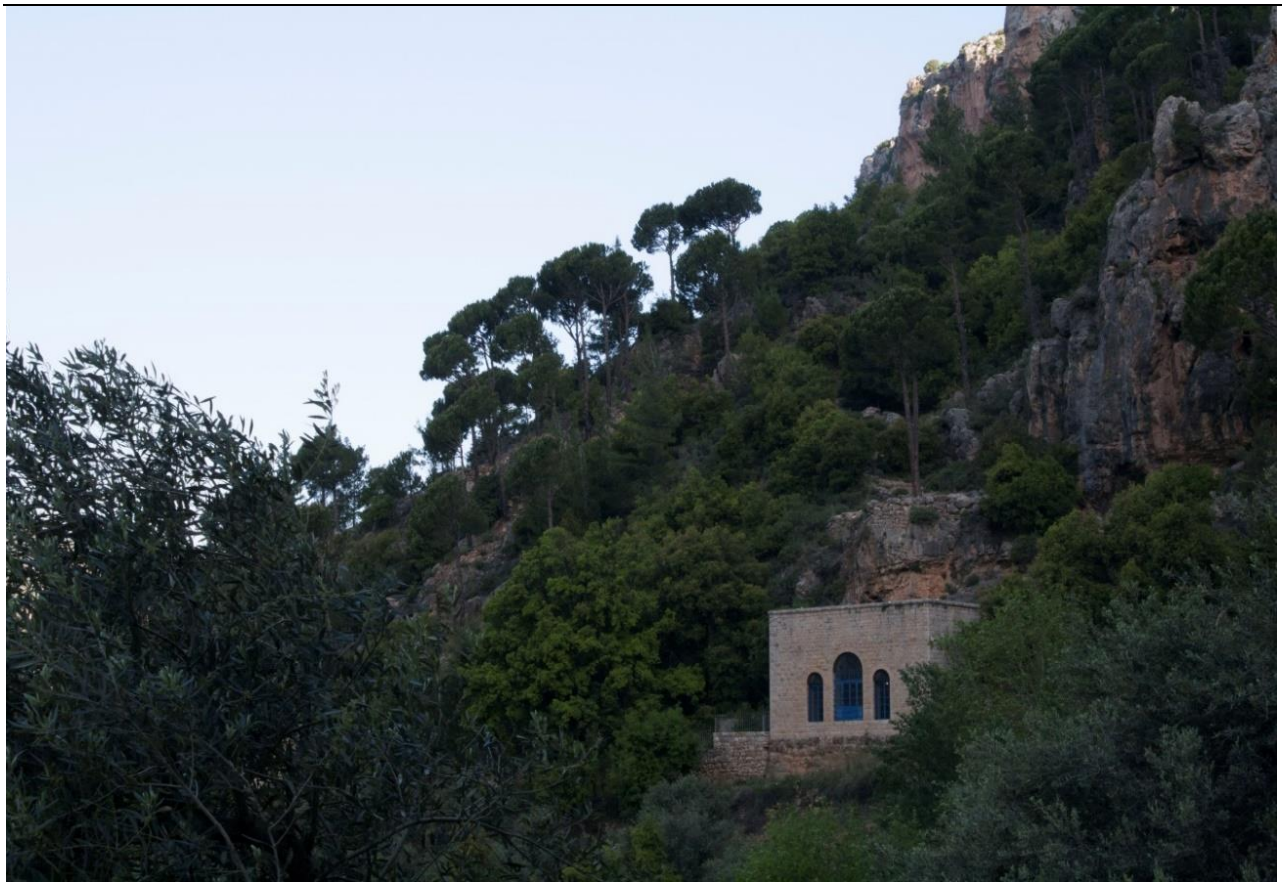

الصورة رقم ٤: كنيسة القدّيسة مارينا في وادي قنّوبين (أيّار ٢٠١٨).

١. مدفن البطاركة الموارنة الجماعيّ في وادي قاديشا (السياق العامّ)، (دة. ندى الياس)

"قنّوبين": لفظة يونانيّة الأصل (κοινοβεῖον) وتعني ديرًا أو منسكًا (Wild, 1973: 89). ويُقال إنّ دير قنّوبين هو من أقدم الأديرة في لبنان؛ فبحسب التقاليد المحلّيّة يعود بناؤه إلى فترة حكم الأمبراطور الرومانيّ ثيوذوسيوس الكبير (Theodosius the Great)، (٣٧٩ إلى ٣٩٥ م) أي في غصون القرن الرابع الميلاديّ (Hélou, 2013: 207)، غير أنّ بعضهم يُرجّح تأسيسه لبعض تلاميذ ثيوذوسيوس الملقَّب برئيس الأديار (Theodosius the Cenobiarch) وذلك بعد القرن الخامس (حسّان سلامة–سركيس، ٢٠٠٥). ولكن حتّى اليوم لم تجرَ أيّ تنقيبات أثريّة في الدير أو دراسات عن عمارته لإثبات هذه التقاليد والفرضيّات أو دحضها. المؤكَّد أنّ الدير كان مقرًّا لستّة وعشرين بطريركًا مارونيًّا بين عامي ١٤٤٠ و١٨٥٤، ولكن تمّ وحَسب دفن سبعة عشر بطريركًا داخل

أراضيه، ابتداءً من البطريرك يوحنّا الجاجيّ في العام ١٤٤٥ حتّى يوسف الخازن، آخر بطريرك تمّ دفنه في أرجاء الدير في العام ١٨٥٤، على الرغم من أنّه توفّي في الديمان، وتمّ نقل جثمانه إلى قنّوبين.

شُيِّدت كنيسة القدِّيسة مارينا من الحجر الجيريّ المسقوف بعقد مصلّب من الجهة الجنوبيَّة وهي مُثبَّتة على مغارة طبيعيَّة استُخدِمت محرابًا طبيعيًّا من جهة الشمال. ويَتشابه هذا التقليد في العديد من كنائس أديرة الوادي المقدَّس. يَقع المذبَح في وسط المغارة–الحنّيّة، وفي الجانب الأيمن منها، تمّ تشييد المدفن الجماعيّ للبطاركة الموارنة، وهو عبارة عن جدارَيْن يشكّلان زاوية تسعين درجة مُسنَدَين على التجويفات الطبيعيّة للمغارة، ويعود أيضًا بناء هذا المدفن إلى بداية القرن العشرين **(الصورة رقم ٥)**.

الصورة رقم ٥: كنيسة القدِّيسة مارينا مع المغارة– الحنّيّة والمدفن الجماعيّ الثانويّ على الجانب الأيمن (أيّار ٢٠١٨).

يحمل هذا المدفن الرخاميّ التذكاريّ في الأعلى درع البطريركيّة السريانيَّة المارونيَّة، ونُقشت تحته لائحة بأسماء البطاركة السبعة عشر الذين من المفترض دُفنوا داخله بين عامي ١٤٤٥ و١٨٥٤ **(الصورة رقم ٦ والجدول رقم ١)**. ولكن على الرغم من أنّ اسم البطريرك يوسف التيّان منقوش أيضًا على رخام هذا المدفن من ضمن

الأسماء السبعة عشر، إلاّ إنّ رفاته محفوظ ومعروض حاليًّا في دير سيِّدة قنّوبين، وبالتالي، يمكننا استنتاج أنّ عدد البطاركة الذين دُفنوا داخل المدفن الجماعيّ المنقبّ عنه يجب أنْ يكون ستَّة عشر وليس سبعة عشر بطريركًا. وتَجدر الإشارة أيضًا إلى أنّ المدفن الجماعيّ هذا ليس المكان الأوّليّ الذي دُفن فيه البطاركة تباعًا. إذ كان في الواقع لدى كلّ بطريرك مدفن أولّيّ ضمن أملاك دير قنّوبين. ولكن، في العام ١٩٠٩، تمّ نقل رفات البطاركة من مدافنهم ومراقِدهم الأوَّليَّة الفرديَّة إلى المدفن الجماعيّ الثانويّ هذا داخل كنيسة القدِّيسة مارينا. ونتيجة لنقل الرفات من المدافن الأوَّليَّة الفرديَّة إلى المدفن الجماعيّ هذا بعد تحلّل الجثث، تمّ خلط البقايا العظميَّة للبطاركة معًا، في كتلة لا يمكن من خلالها تمييز كامل العناصر العظميَّة لكلّ شخص، بل كان جليًّا أيضًا أثناء التنقيب أنّ هذه البقايا تعود إلى أكثر من ستّة عشر شخصًا. إذًا هذا الجمع متعمّد ومرتبط بإزالة البقايا من مكان الراحة الأوّليّ إلى مكان ثانويّ بهدف دفنها معًا.

الصورة رقم ٦: المدفن الجماعيّ الثانويّ للبطاركة الموارنة في سيِّدة مارينا مع النقوش السريانيّة (أيّار ٢٠١٨).

Name and Last Name	سنة انتخابه بطريركًا وسنة المات *Year of election as Patriarch and year of death*	الاسم باللغة العربية	سنة انتخابه بطريركًا وسنة المات باللغة السريانية	الاسم بالكرشوني
Youhana El Jaji	1404-1445	يوحنا الجاجي	ܐܠܦ _ ܐܠܡܕ	ܝܘܚܢܐ ܐܠܓܐܓܝ
Yaacoub Eid El Hadathi	1445-1458	يعقوب عيد الحدثي	ܐܠܡܕ _ ܐܠܡܗ	ܝܥܩܘܒ ܥܝܕ ܐܠܚܕܬܝ
Botros Hassan El Hadathi	1458-1492	بطرس حسان الحدثي	ܐܠܡܗ _ ܐܠܪܘ	ܒܛܪܣ ܚܣܢ ܐܠܚܕܬܝ
Chamoun Hassan El Hadathi	1492-1524	شمعون حسان الحدثي	ܐܠܪܘ _ ܐܠܥ	ܫܡܥܘܢ ܚܣܢ ܐܠܚܕܬܝ
Moussa Saadeh El Akkari	1524-1567	موسى سعاده العكاري	ܐܠܥ _ ܐܠܐ	ܡܘܫܐ ܣܥܕ ܐܠܥܩܪܝ
Mikhael El Rezzi	1567-1581	ميكايل الرزي	ܐܠܐ _ ܐܠܒ	ܡܝܟܐܝܠ ܐܠܪܙܝ
Sarkis El Rezzi	1581-1596	سركيس الرزي	ܐܠܒ _ ܐܠܪ	ܣܪܟܝܣ ܐܠܪܙܝ
Youssef El Rezzi	1596-1608	يوسف الرزي	ܐܠܪ _ ܐܠܣ	ܝܘܣܦ ܐܠܪܙܝ
Youhana Makhlouf	1608-1633	يوحنا مخلوف	ܐܠܣ _ ܐܠܟ	ܝܘܚܢܐ ܡܟܚܠܘܦ
Jerjes Aamira	1633-1644	جرجس عميرا	ܐܠܟ _ ܐܠܡ	ܓܪܓܣ ܥܡܝܪܐ
Youhana El Safraoui	1648-1656	يوحنا الصفراوي	ܐܠܡ _ ܐܠܗ	ܝܘܚܢܐ ܐܠܨܦܪܘܝ
Estefanos El Douaihy	**1670-1704**	اسطفانوس الدويهي	ܐܠܗ _ ܐܠܒ	ܐܣܛܦܢܘܣ ܐܠܕܘܝܗܝ
Gebrael El Blaouzani	1704-1705	جبرايل البلوزاني	ܐܠܒ _ ܐܠܐ	ܓܒܪܐܝܠ ܐܠܒܠܘܙܢܝ
Youssef El Tiyan	1796-1820	يوسف التيان	ܐܠܪ _ ܐܠܥ	ܝܘܣܦ ܐܠܬܝܢ
Youhana El Helou	1808-1823	يوحنا الحلو	ܐܠܫ _ ܐܠܩ	ܝܘܚܢܐ ܐܠܚܠܘ
Youssel Hbeich	1823-1845	يوسف حبيش	ܐܠܩ _ ܐܠܨ	ܝܘܣܦ ܚܒܝܫ
Youssel El Khazen	1845-1854	يوسف الخازن	ܐܠܨ _ ܐܠܬ	ܝܘܣܦ ܐܠܚܙܢ

الجدول رقم ١: الاسم بالكرشوني للبطاركة السبعة عشر وتاريخ انتخابهم بطاركة وسنة وفاتهم (من اللوحة الرخاميّة المثبتة على المدفن الجماعيّ).

٢. المنهجيّات والطرائق

أ. التقنيّات الأركيولوجيّة

تمّت المرحلة الأولى من التحقيقات بناءً على عمليّات التنقيب الأركيو–أنثروبولوجيّة. وتمّ استخدام أسلوب التسلسل الطبقيّ في التنقيب بشكلٍ خاصّ، بحيث يُعرّف الطبقة الأثريَّة بطبقة من التربة تشكَّلت نتيجةً لنشاط بشريّ أو تحتوي على بقايا أنشطة بشريَّة (Leroi-Gourhan, 1988: 279) . ولكن بسبب اندماج البقايا العظميَّة التي وُضعت في زمان واحد ومكان واحد، على شكل كتلة مختلطة وبسبب انعدام الاتّصال التشريحيّ، قُمنا بتنقيب المدفن بأكمله باستخدام "التقشير الأفقيّ (Horizontal spits) لاستعادة أكبر قدر ممكن من المعلومات. وتمّ ترتيب هذه "الأقسام" أو "الطبقات"، وتمّ ربطها بالتسلسلات الأثريّة (Leroi-Gourhan 1988: 309). واستندت هذه الطريقة إلى "تقشير" التراب أفقيًّا بعناية لإظهار كلّ عظمة وترقيمها، وتمّ طبعًا ترقيم كلّ طبقة وتوثيقها،

وتسجيل كلّ بقايا "العظام" ورسمها على نظام المعلومات الجغرافيّة (GIS) **(الصورة رقم ٧)**. ومن خلال هذه الطريقة المفصّلة استطعنا إعادة بناء التنظيم المكانيّ للبقايا البشريَّة داخل المدفن.

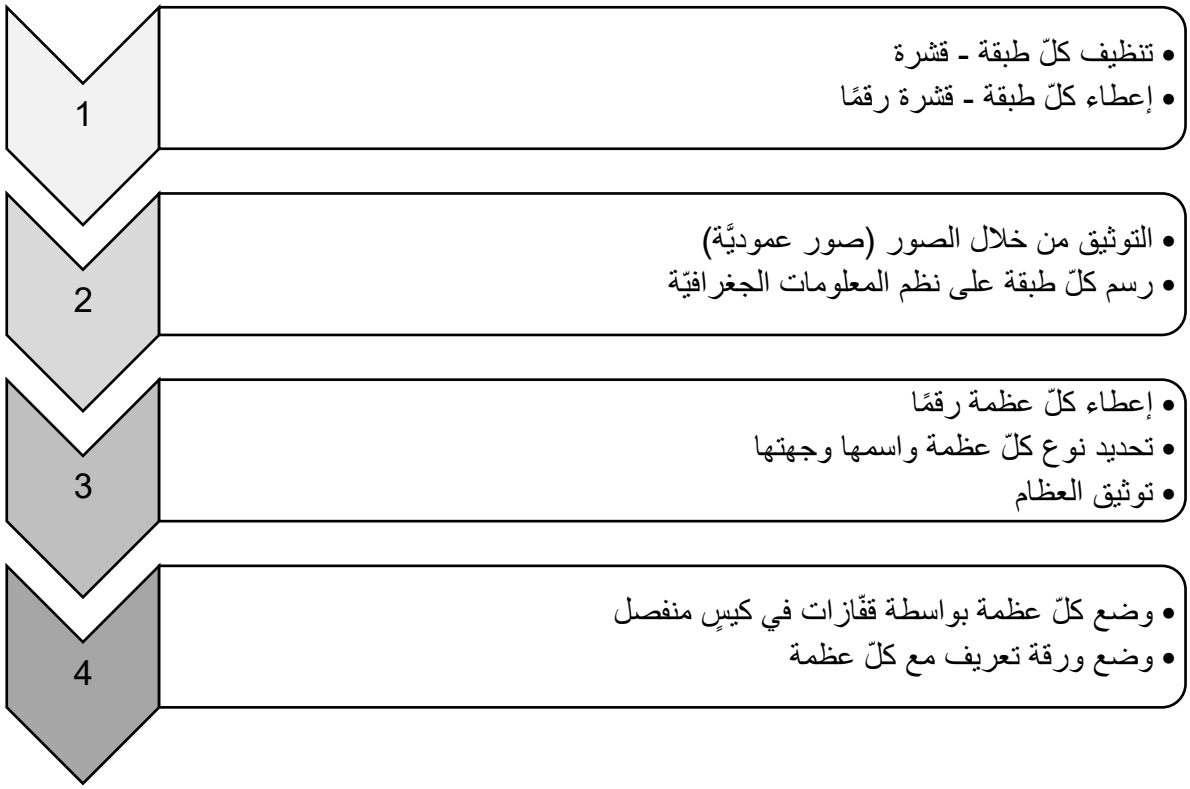

الصورة رقم ٧: إستراتيجيات التنقيب ورفع العظام في المدفن الجماعيّ الثانويّ.

ب. التقنيّات الأنثروبولوجيّة

وشملت المرحلة الثانية من هذا المشروع التحقيقات الانثروبولوجيّة الطبيَّة–الشرعيَّة. فقد تمّ نقل أربعة وأربعين صندوقًا من العظام التي تمّ التنقيب عنها من كنيسة مارت مارينا إلى غرفة دراسيَّة وجُهّزت في البطريركيَّة المارونيّة في الديمان، لتسهيل الوصول إليها. ثمّ قمنا بتنظيف العظام وفرزها بحسب النوع، ومن ثمَّ قمنا بتجميع عظام كلّ شخص على حدة، وتحديد الجنس وتقدير العمر لكلّ فرد. وأخذنا أيضًا عيّنات من العظام لتحليل الحَمْض النوويّ وللتأريخ عبر الكاربون ١٤.

ففي سياق المدفن الجماعيّ الثانويّ ومع اندماج البقايا العظميَّة، وعدم قيام اتّصالات تشريحيَّة محفوظة، لم يكن من الممكن التعرّف على كلّ فرد في أثناء التنقيب. وبالتالي، كان من الضروريّ استخدام أساليب عدّ لتحديد

الحدّ الأدنى لعدد الأفراد، MNI (White 1953). ومع ذلك، يُمثّل الحدّ الأدنى لعدد الأفراد أقلّ عددٍ من الأفراد وحسب، وبالتالي يمكن استنتاج جزء من الأفراد الذين دفنوا أساسًا. فمعرفة العدد الفعليّ تعتمد على الممارسات المدفنيّة المستخدَمَة، وعمليّات الحفظ، والتآكل، والنقل، والتنقيب، وتحديد نوع العظام (Masset 1984; Sellier 2011: 86) . في هذه الدراسة، استخدمنا ثلاث طرائق لتحديد الحدّ الأدنى لعدد الأفراد **(الصورة رقم ٨)**:

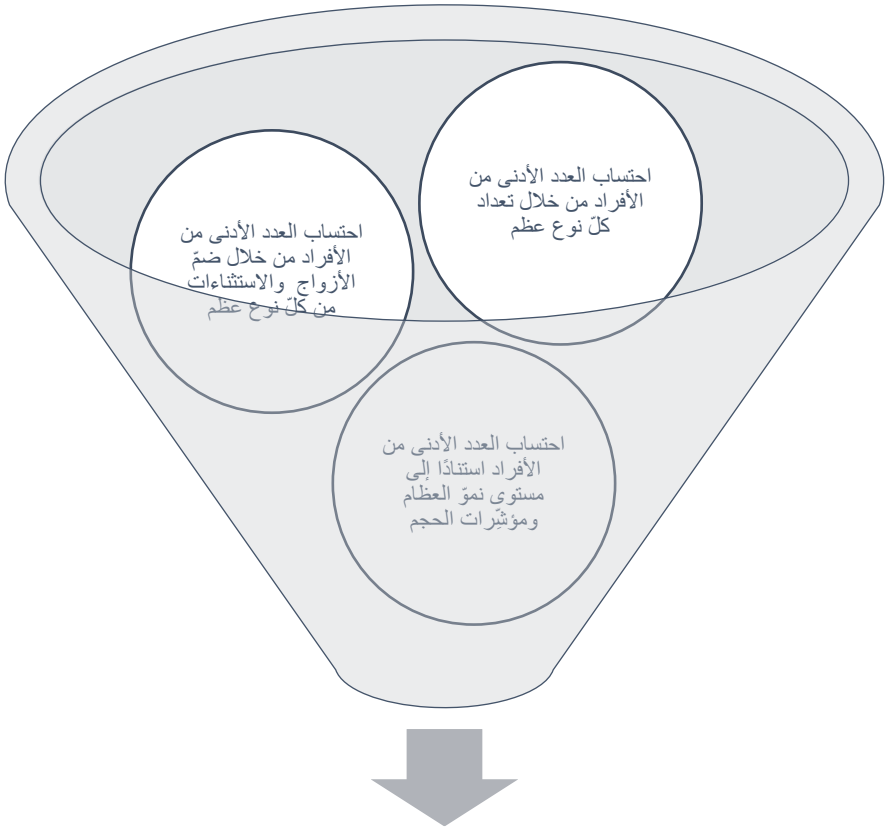

الصورة رقم ٨: أنواع تحديد الحدّ الأدنى لعدد الأفراد المستخدَم في هذا البحث.

- **احتساب العدد الأدنى من الأفراد المدفونين من خلال تعداد كلّ نوع عظم:** تستند هذه الطريقة إلى إحصاء عدد العظام. إذ قمنا بفصل العظام أوّلًا بحسب نوعها، ثمّ بفصل عظام الجانب الأيسر عن عظام الجانب

الأيمن. وتمّ تطبيق هذا الإحصاء على جميع فئات العظام، وأخذنا بالاعتبار أعلى رقم: العدد الأدنى من الأفراد= العدد الأقصى (يسار، يمين)، (White 1953:396-397; Parmentier 2010: 22).

- **ثمّ، احتسبنا العدد الأدنى من الأفراد المدفونين من خلال تعداد المطابقات والاستبعادات** من أجل إعادة بناء الأفراد عن طريق تجميع أزواج كلّ فرد. إذ أنّ عظام كلّ جانب من الفرد متشابهة جدًّا (Masset 1984). وتعتمد طريقة جمع زوجَيْن من كلّ نوع عظم على مرحلة النموّ والشكل والحجم واللون (Chaplin, 1971: 70). بالإضافة إلى ذلك، تمّ استبعاد العظام التي نتأكّد من أن ليس لها جزء مطابق على الجانب المقابل. بالتالي، تُعزل العظام التي لا تتطابق. العدد الأدنى من الأفراد= عدد الأزواج + عدد العظام التي تمّ عزلها (يمين + يسار) + عدد عظام اليسار الحصريّ + عدد عظام اليمين الحصريّ (Parmentier 2010: 23).
- **وأخيرًا، فطريقة احتساب العدد الأدنى من الأفراد المدفونين تتمّ أيضًا عبر الاستناد إلى نموّ العظم ومؤشّرات الحجم** (طفل، مراهق، بالغ، كهل)، (Bökönyi 1970: 291-203; Parmentier 2010: 22).

وبعد جمع بقايا كلّ فرد على حدة قمنا بتقدير العمر والجنس لكلّ هيكلٍ عظميّ. ففي ما يتعلّق بتقدير عمر الوفاة للأفراد البالغين، تمّ الاعتماد على دراسة مؤشّرات الشيخوخة (Schmitt 2005) . ولتحديد جنس الهيكل العظميّ للشخص البالغ، تمّ إجراء التشخيص الأساسيّ من خلال مشاهدة عظمة الورك (Bruzek 2002) . وتمّ فحص الوضع الصحيّ للهياكل المكتشَفَة بالإضافة إلى مؤشّرات النشاطات البدنيّة ودلالات سوء التغذية.

وفي النهاية، من أجل تحديد هويَّة الأفراد المكتشَفِين، استهدفت المرحلة الثالثة من الدراسة، أوّلًا أخذ عيّنات العظام للحَمْض النوويّ من الستّ عشرة جمجمةَ الكاملة المكتشفة، إمّا الجزء الصَّخْرِيّ (Petrous bone) للعَظْمِ الصُّدْغِيّ، وإمّا من أحد أضراس الفكّ العلويّ. وثانيًا، أخذ عيّنات من الهياكل العظميّة (Infra-cranial skeletons) من أجل مطابقة كلّ جمجمة عناصر الهيكل الأخرى.

ج. تقنيّات دراسة الحَمْض النوويّ (د. بيار الزلوعا)

تمّت عمليّات استخراج الحَمْض النوويّ القديم وخطوات التحضير (Pre-PCR) من عيّنات الجزء الصَّخْرِيّ (Petrous bone) للعَظْمِ الصُّدْغِيّ أو من أحد أضراس الفكّ العلويّ لستّ عشرة جمجمة من مدفن البطاركة في مختبرٍ مخصَّص للحَمْض النوويّ القديم في جامعة أوتاغو التي تقع في مدينة دنيدن بنيوزيلندا. وتمّ وصف التقنيّات بالتفصيل في مقالٍ سابق (Zalloua *et al.*, 2023).

ولتحديد هويّة البطريرك إسطفان الدويهي، تمّ جمع عيّنات الحَمْض النوويّ من سبعة وأربعين فردًا حاليِّين من أفراد العائلة المقترحين كالأقارب المحتملين للبطريرك . ومن أجل الحصول على الميتوجينومات الكاملة، تمّ العمل على منصّة إيلومينا MiSeq .

وقد تمّت استعادة الميتوجينومات الكاملة من جميع عيّنات الجماجم القديمة الستّ عشرة. إنّ كلّ بيانات التسلسل التي تمّ إنشاؤها تُظهر أنماطًا نموذجيَّة للحَمْض النوويّ القديم، من دون قيام أدلَّة على أيّ تلّوث حديث. وتتراوح عمق تغطية جينومات الميتوكوندريال الكاملة من أربع مرّات إلى ثماني مئة وتسعٍ وأربعين مرّة، ممّا يشير إلى حفظ جيّد للحَمْض النوويّ. وتمّ تحديد أنماط جينومات الميتوكوندريال لستّ عشر عيّنة.

٣. النتائج الأوَّليّة للمشروع

أ. نتائج التنقيبات الأثريَّة (دة. ندى الياس)

يوم الثلاثاء ١٠ نيسان ٢٠١٨، فُتح مدفن البطاركة في كنيسة مارت مارينا للمرَّة الأولى، حيث تمّ دخول المدفن عبر نافذة مربَّعة صغيرة تقع في الجهة الغربيَّة منه. وهذه الفتحة توفّر الوصول إلى الطابق العلويّ، ومقابل المدخل وقربه في الداخل، ثمّة فتحة صغيرة في الأرض تقع في الشمال الغربيّ من الطابق العلويّ، وتؤمّن الوصول إلى الطابق السفليّ للمدفن **(الصورة رقم ٩)**.

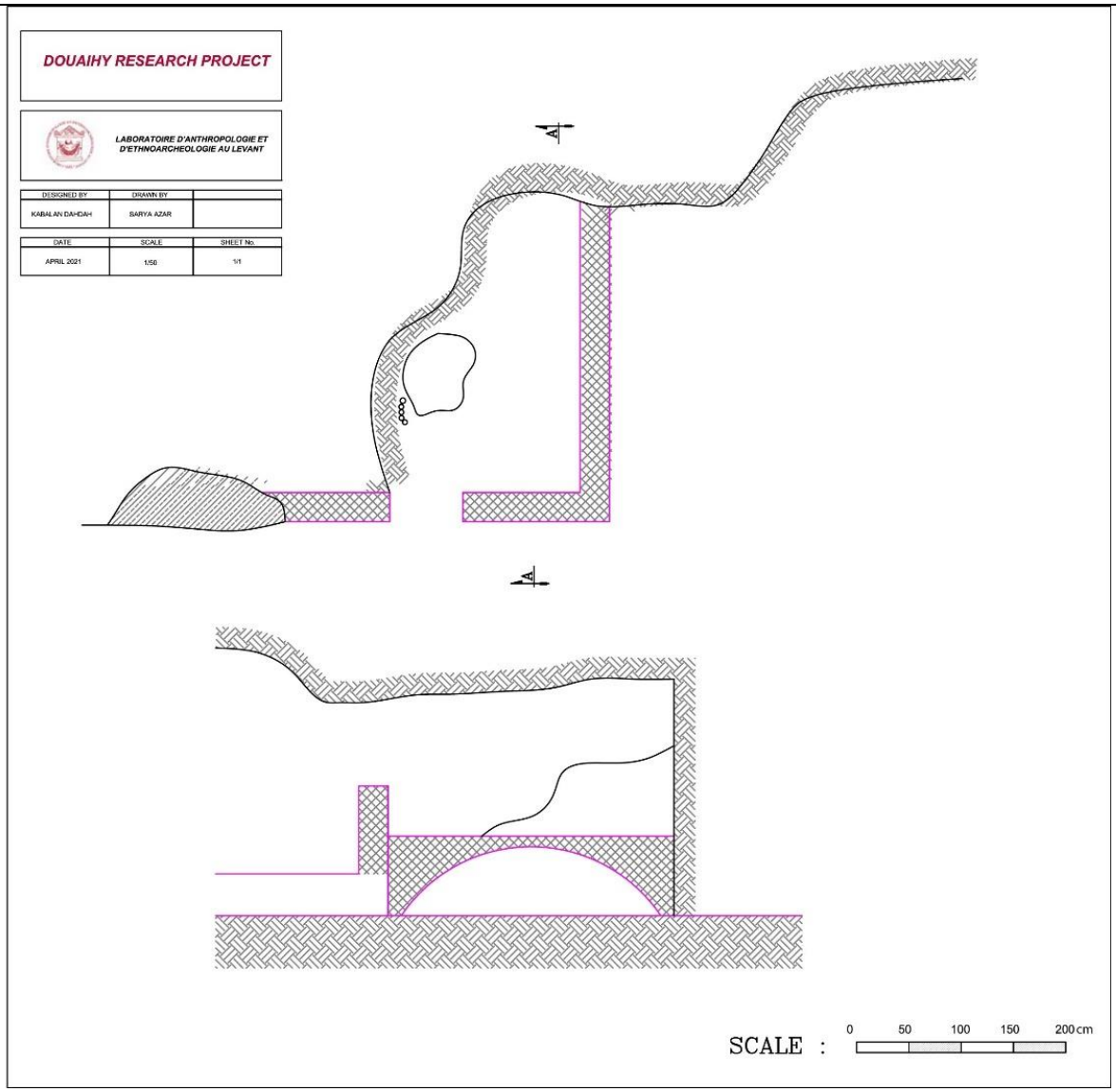

الصورة رقم ٩: رسم التخطيط المعماريّ والرسم المقطعيّ للمدفن الجماعيّ في كنسية مارت مارينا (رسم يدويّ للدكتور المهندس قبلان دحدح ورسم أوتوكاد لساريا عازار).

ويتكوّن الطابق السفليّ من ثلاثة جدران مبنيّة (الشماليَّة والجنوبيَّة والغربيَّة) في حين الجدار الشرقيّ تجويف صخريّ طبيعيّ. وهذا الطابق مسقوف بسقف مصلّب ويحتوي على بقايا البطاركة. وكانت البقايا العظميّة التي تمّ اكتشافها مُركّزة بالأخصّ في الجزء الشرقيّ للطابق السفليّ. ويُشير غياب أيّ اتّصال تشريحيّ محفوظ بالتأكيد إلى أنّ هؤلاء الأفراد تمّ نقلهم بعد موتهم وفنائهم. وبالتالي، تمّت عمليّة تحلّل الجثث في مكانٍ آخر، في مدافنهم الفرديَّة الأوَّليّة، ولذلك فإنّ هذا المدفن الجماعيّ ثانويّ **(الصورة رقم ١٠)**.

الصورة رقم ١٠: صورة من الداخل (الطابق السفليّ) للبقايا المكتشَفَة لحظة فتح المدفن (نيسان ٢٠١٨).

وفي الطابق العلويّ، ومقابل فتحة المدخل، يمكننا رؤية بقايا خمسة أفراد على الأقلّ ممثَّلة بخمس جماجم، وعظمتي حوض وبقايا لأطراف سفليَّة **(الصورة رقم ١١)**. ومن الواضح أنّ هذه البقايا هي أقدم من بناء مدفن البطاركة (١٩٠٩) نظرًا إلى أنّ العظام مقطوعة بسبب بناء الجدار الشماليّ للطابق السفليّ، وهي ممتدَّة وراءَه. كلّ تنقيباتنا الأثريّة تمّت في الطابق السفليّ للمدفن وحَسب، حيث إنّ أيّ تحقيقات إضافيّة، ستتطلب تفكيك الجدار الشماليّ لإجراء تنقيبات أخرى يومًا ما لمستويات الدفن الأقدم داخل كنيسة مارت مارينا.

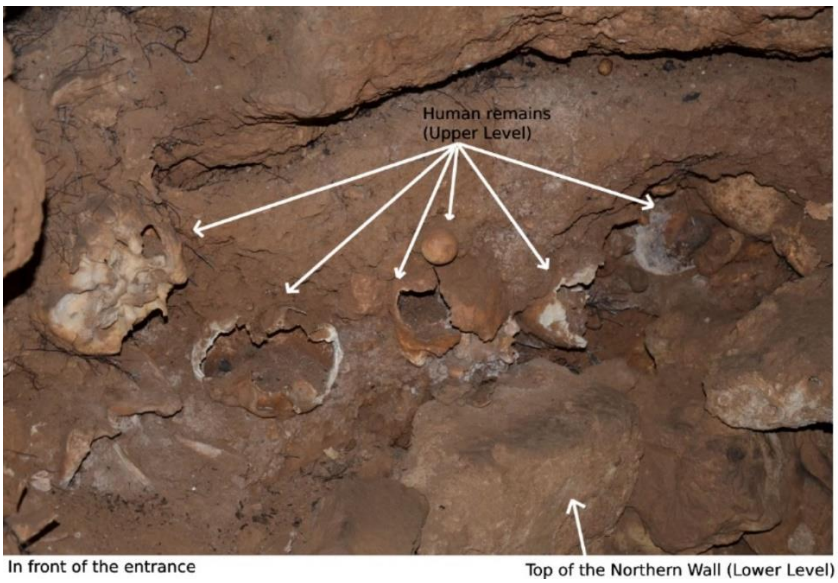

الصورة رقم ١١: الهياكل المدفونة سابقًا في حنيَّة/ مغارة كنيسة مارت مارينا، خلف الجدار الشماليّ للمدفن الجماعيّ (نيسان ٢٠١٨).

وفي غصون أربعة أشهر من التنقيبات، تمّ الكشف عن تسع طبقات من العظام تحتوي على ما يزيد عن ثلاثة آلاف عظمة (لأكثر من أربعةٍ وأربعين فردًا) بالإضافة إلى اكتشاف لُقى مدفنيَّة بجانبها **(الصورة رقم ١٢)**. وتمّ تجميع كلّ تربة المدفن، بإجماليّ أربعة وستيّن كيسًا، وكلّ كيس يحتوي على ثلاثين لترًا (ألفٌ وتسع مئة وعشرون لترًا من عيّنات التربة تمّت غربلتها). وتمّ إجراء التوثيق الفوتوغرافيّ العامّ والمنظَّم مع ترقيم كلّ عظمة ولُقى مكتَشَفة.

وكان من المستحيل ربط اللُقى المدفنيّة المكتَشَفة في هذا المدفن الجماعيّ بالشخص الذي كانت موضوعة معه، لذا ربطناها بالطبقة التي اكتُشفت فيها **(جدول رقم ٢)**. وتجدر الإشارة إلى أنّ ليس جميع العناصر المكتَشَفة في المدفن عبارة عن لُقى مدفنيَّة. فعلى سبيل المثال، بعض البقايا الخشبيَّة المكتشَفَة تعود على الأرجح إلى أجزاء من توابيت خشبيَّة. وهناك أيضًا عناصر نسيج من الملابس أو الأكفان التي كان يرتديها المتوفّون. إنّ كلّ المعلومات التي لدينا مرتبطة بالمدفن الثانويّ حيث تمّ نقل عظام البطاركة. إنّ اللُقى المكتشَفَة في المدفن تتكوَّن إذًا بشكل رئيسيّ من عناصر خشبيَّة، وعناصر نسيجيَّة، ومجوهرات طقسيَّة، وقطعتَيْن من الفخّار (إحداهما مزجَّجة) ومجموعة صغيرة ملتصقة من العملات العثمانيَّة الفضيَّة (S14: A-I). وتتكوَّن مجموعة العُملات العثمانيَّة الفضيَّة الصغيرة من تسع عملات فضيَّة (آقجة[٤] عثمانيَّة) التصقت بعضها ببعض بسبب التآكل، ويعود وضعها مع المتوفّى إلى ما بعد العام ١٦٢٣ ميلاديّ **(الجدول رقم ٢، صورة رقم ١٣)**. وقامت الدكتورة ناتالي حنَّا بفصل العملات المعدنيَّة وحفظ القطع المكتشَفَة، في حين قام الدكتور زياد صوايا بدراسة العملات المكتَشَفة (صوايا، يصدر قريبًا). ومن الأرجح أنّ العُملات المكتشَفَة هذه كانت ملفوفة في منديل أو محفوظة داخل محفظة أحد الأفراد الأربعة والأربعين الذين تمّ اكتشافهم، وإلّا ربّما سقطت عن طريق الخطأ أثناء الدفن الأوّليّ لأحد الأفراد. وفي كلتا الحالتَيْن، ربّما حدث ذلك في عهد يوحنّا مخلوف (١٦٠٨–١٦٣٣) أو بعده بقليل. ولقد تمّ اكتشاف العُملات المعدنيَّة هذه في الطبقة الأثريَّة الخامسة (Spit E) والتي تحتوي على طبقة رسوبيّة سميكة

[٤] كانت الآقچة العُملة المتداولة في الدولة العثمانيَّة، تمّ سكّها لأول مرة في سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٧م.، وكانت العُملات العثمانيَّة تحمل على أحد وجهيها الشهادة، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان.

تُغطّي مئتين وستّين عظمة. وتمّ الكشف في هذه الطبقة عن اكتشافات أخرى، على الرغم من أنَّها ليست بالتأكيد معاصرة أو مرتبطة بالعُملات المعدنيَّة:

- صليب برونزيّ (S12) عليه نقش فرنسيّ على الوجه Souvenir de la Mission . على الصليب، لا يزال من الممكن ملاحظة قطعة نسيج على ساقَيْ المسيح **(الجدول رقم ٢، الصورة رقم ١٤)**. ومن المحتمل أن يعود تاريخ هذا الصليب إلى القرن التاسع عشر.
- قلادة برونزيَّة تحمل نقشًا يُصوّر القدِّيس بطرس على الوجه والقدِّيس بولس على الخلف (S13) مع نقوش إيطاليّة على الجانَبيْن: S. Pietro Apostolo & S. Paolo Apostolo **(الجدول رقم ٢، الصورة رقم ١٥)**.
- المنسوجات والقطع الجلديَّة المختلفة.

وفي الطبقة الأثريَّة الثامنة (Spit H) تمّ اكتشاف أغراض طقسيَّة برونزيَّة أخرى:

- خاتم من البرونز عليه زخرفة هندسيَّة ويعود إلى الفترة الوسيطة **(الجدول رقم ٢، الصورة رقم ١٦)**.
- قطعة من مِسْبَحة برونزيَّة **(الجدول رقم ٢، الصورة رقم ١٧)**.

ولا تزال دراسة اللُقى مستمرّة على يد الاختصاصيّين وسيتمّ نشر النتائج بعد انتهاء الدراسات المختلفة.

الصورة رقم ١٢: طبقات التنقيب التسع (A–I) في مدفن البطاركة الجماعيّ الثانويّ.

الصورة رقم ١٣: مجموعة العُملات الفضّيَّة العثمانيَّة (S12) في مكان اكتشافها بالطبقة الأثريَّة (Spit E).

الصورة رقم ١٤: الصليب البرونزيّ (الوجه والظهر)، مع بقايا النسيج على الوجه.

Spit	SF#	*Description*
Spit C	S1	*Textile remains*
Spit C	S3	*Wooden fragments of a coffin?*
Spit C	S4	*Textile remains with red coloration*
Spit D	S5	*Textile remains*
Spit D	S6	*Textile*
Spit D	S8	*Wooden fragments of a coffin?*
Spit D	S10	*Iron perforated disc with 3 triangular ends (ø: 1.8 cm, thickness: 0.1 cm, Weight: 0.3 cm)*
Spit E	S11	*Textile remains*
Spit E	S12	*Cu/alloy cross: Obverse: INRI, Revers : Souvenir de la Mission. (Length: 6.6 cm, width: 3.6 cm, thickness: 0.5 cm, weight: 7.9 g)*
Spit E	S13	*Cu/alloy medal pendant : Obverse: S. PIETRO APOSTOLO, Revers :S. PAOLO APOSTOLO (Length: 5.6 cm, width: 2.8 cm, thickness: 0.5 cm, weight: 13.2 g)*
Spit E	S14	*9 silver coins (A-I)*
Spit E	S15	*Textile remains*
Spit E	S16	*Leather frag. (Was found next to S12)*
Spit F	S17	*Decorated rim of a pottery*
Spit F	S18	*Textile remains (Bluish embroidery with two red pearls)*
Spit F	S19	*Textile remains next to S18 (south-east corner next to skull 679)*
Spit F	S20	*Bluish cross shaped embroidery*
Spit F	S21	*Leather and textile fragments*
Spit F	S22	*Wooden fragment of a coffin?*
Spit D	S23	*Fragment of glazed pottery*
Spit G	S24	*Textile remains*
Spit G	S25	*Two flat Cu/Alloy perforated discs (ø: 0.6 cm)*
Spit G	S26	*Glass bead (ø: 0.6 cm)*
Spit G	S27	*Lead object*
Spit H	S28	*Cu/alloy ring with a geometric Islamic pattern (Height: 2.2 cm, width: 2cm, weight: 4.8 cm). Medieval period*
Spit H	S29	*Rosary piece: Cu/alloy oval plaque with two small chains each one having a bead at its end (Medallion: Length: 2.2 cm, width: 1.8 cm, total weight: 4.1 g)*
Spit I	S30	*Iron cylindric object (ø: 3.1 cm, thickness: 0.2 cm, Weight: 1.5 cm)*
Spit I	S31	*Textile remains*
Spit I	S32	*Decorative textile elements of ecclesiastical costume*
Spit I	S33	*Decorative textile elements of ecclesiastical costume*

الجدول رقم 2: اللُقى المدفنيَّة التي تمّ اكتشافها في مدفن البطاركة الجماعيّ الثانويّ.

الصورة رقم ١٥: القلادة البرونزيَّة للقدِّيس بطرس وبولس.

الصورة رقم ١٦: الخاتم البرونزيّ المكتَشَف في الطبقة الأثريَّة H.

الصورة رقم ١٧: قطعة المسبحة البرونزيَّة التي تمّ اكتشافها في الطبقة الأثريَّة H.

ب. نتائج التحقيقات الأنثروبولوجيّة، الطبيّة– الشرعيّة (دة. ندى إلياس)

أظهرت التحقيقات الأنثروبولوجيّة، الطبيّة– الشرعيّة الأوَّليّة عددًا من النتائج غير المتوقَّعة. أوّلًا، من المفترض أن يكون عدد الأفراد ستَّة عشر، إذ إنَّ البطريرك يوسف التيّان معروض في دير سيِّدة قنّوبين، وبالتالي ليس في المدفن الجماعيّ. ومع ذلك، تمّ استخراج رفات أربعة وأربعين فردًا من هذا المدفن الجماعيّ، مما يُبيّن رفات ثمانية وعشرين فردًا إضافيًّا.

وضمّت مجموعة الأفراد الأربعة والأربعين : واحدًا وأربعين شخصًا بالغًا، ومراهقًا واحدًا وطفلَيْن. كان الهدف الرئيسيّ من التحقيقات الأنثروبولوجية إعادة جمع كلّ فرد وتركيبه، **(الصور رقم ١٨–١٩)**. وتمكّنّا من تجميع الهياكل العظميَّة لواحد وثلاثين فردًا **(الصورة رقم ٢٠ و الجدول رقم ٣)**.

وتُظهر نتائج تحديد الجنس وتقدير العمر عند الوفاة استنادًا إلى عظام الحوض للأفراد المجمَّعين في الجدول رقم ٣ أنّ الأغلبيَّة من الأفراد المكتشفين تتجاوز أعمارهم الأربعين عامًا **(الجدول رقم ٣)**. كما تمّ تحديد رفات طفلَيْن: أحدهما كان عمره حوالى أربع – خمس سنوات عند الوفاة **(الصورة رقم ٢١)** والآخر كان عمره حوالى اثنتين – ثلاث سنوات عند الوفاة. ومن بين الأشخاص البالغين السبعة والعشرين المُجمَّعين، واحد وعشرون كانوا ذكورًا وستّة أشخاص لم يتمّ تحديد جنسهم بسبب عدم حفظ عظمة الورك **(الجدول رقم ٣)**. وكان هناك ستّ عشرة جمجمة كاملة فقط. لذا، من أجل تحديد هويَّة الأفراد المكتشَفين، استهدفت المرحلة الأولى من أخذ عيّنات العظام للحَمْض النوويّ من الستّ عشرة جمجمة الكاملة، إمّا الجزء الصَّخْرِيّ (Petrous bone) للعَظْمِ الصُّدْغِيّ وإمّا أحد أضراس الفكّ العلويّ. واستهدفت الخطوة الثانية من أخذ العيّنات الهياكل العظميَّة (Infra-cranial skeletons) من أجل مطابقة كلّ جمجمة عناصر الهيكل الأخرى (نتائج تحليلات الحَمْض النوويّ ستأتي لاحقًا، إذ لا تزال الدراسات جارية).

وتُظهر بعض الهياكل العظميّة علامات لأنشطة بدنيّة، وكذلك أمراضًا عظميّة مرتبطة بالكسور أو أمراض المفاصل أو التشوّهات الخِلْقيّة. بالإضافة إلى ذلك، تمّ العثور على بقايا أقمشة ملتصقة ببعض العظام. وعلاوة على ذلك، تُظهر إحدى الجماجم تلوينًا أحمر فريدًا؛ تمّ إرسال العيّنات لإجراء اختبارات إضافية في المختبر لتوضيح سبب هذا التلوين الذي قد يكون مرتبطًا بمادَّة الزِّنْجَفْر[٥]،ونحن بصدد الإعلان عن النتائج فور جهوزها.

[٥] الزِّنْجَفْر هو خام طبيعيّ يحتوي على الزئبق، ويتكّون من كبريتيد الزئبق الثنائيّ (HgS) .كان يُعرف قديمًا باسم "زرقون" بسبب لونه الأحمر الداكن.

Ind.	Maturation	Age	Sex
1	AD	[>20]	M
2	AD	[30-59]	M
3	AD	[>20]	I
4	AD	[20-49]	M
5	AD	[>20]	M
6	AD	[>60]	M
7	AD	[20-49]	M
8	AD	[26-35]	M
9	AD	[>20]	I
10	AD	[30-59]	M
11	AD	[>20]	M
12	AD	[20-59]	M
13	AD	[20-49]	M
14	AD	[<60]	M
15	AD	[20-49]	M
16	AD	[<60]	M
17	AD	[>60]	M
18	AD	[20-59]	M
19	AD	[20-29]	M
20	AD	[20-25]	I
21	AD	[>20]	I
22	AD	[>20]	I
23	AD	[>20]	I
24	AD	[>40]	M
25	AD	[30-59]	M
26	AD	[20-49]	M
27	AD	[20-49]	M
28	IM	[14-19]	I
29	AD	[>20]	I
30	IM	[2-3]	I
31	IM	[4-5]	I

الجدول رقم ٣: تقدير العمر وتحديد الجنس للهياكل العظميَّة المجمّعة.

الصورة رقم ١٨: فرز عظام الفخذ (اليمين واليسار) لتجميع الأفراد (٢٠٢٠).

الصورة رقم ١٩: أزواج من عظام الفخذ المتطابقة (٢٠٢٠).

الصورة رقم ٢٠: الهياكل العظميَّة المجمَّعة في مختبر الدراسات الأركيولوجيّة في الديمان (٢٠٢١).

الصورة رقم ٢١: هيكل عظميّ لطفل يتراوح عمره بين ٤–٥ سنوات عند الوفاة (٢٠٢٢).

ج. نتائج تحقيقات الحَمْض النوويّ (د. بيار الزلوعا)

بعد التحليلات والمقارنات الدقيقة بين نتائج فحص الحَمْض النوويّ القديم والحديث، نستنتج ما يلي : تمّ العثور على تسع مطابقات محتملة مع ستّ جماجم، وتمّ إجراء تحليلات المقارنة بين العيّنات القديمة للبطاركة والعيّنات الحديثة للأقارب المحتملين من عائلة الدويهي، مع العلم أنّ والدة البطريرك إسطفان الدويهي كانت من عائلة الدويهي أيضًا. تمّ عرض النتائج في الجدول رقم ٤، أدناه. ويُلاحظ أنّ الفرد 2A10 والبقايا الممثَّلة برمز MS11260 يشكّلان مجموعةً وثيقة، وكذلك الفرد 3BB61 والبقايا الممثَّلة برمز MS11253 يشكّلان مجموعة أخرى وثيقة.

إنّ تحليلات الحَمْض النوويّ الميتوكوندرياليّ الكاملة من بين جميع العيّنات، تُشير إذًا إلى أنّ خطًّا مباشرًا من النَسَب الأموميّ يربط بين الفرد 2A10 والبقايا الممثَّلة برمز MS11260. ويُلاحظ أنَّ الفردَيْن 2A10 وD6 ينتميان إلى هابلوغروب (X2e2b1) أي الفرع نفسه من عائلة الدويهي. بالإضافة إلى ذلك، يُلاحظ عدم استبعاد خطّ مباشر من النَسَب الأموميّ بين الفرد 3BB61 والبقايا الممثَّلة برمز MS11253 .

ويعتمد هذا الاستنتاج على افتراض أساسيّ أنَّ هابلوغروب X2e2b1 و H+152 تبقى ضمن عائلة الدويهي من خلال زيجات متعاقبة في الخطّ الأموميّ. وكان هناك أيضًا مطابقات أخرى محتملة **(الجدول رقم ٤)**.

وكذلك أظهرت نتائج الحَمْض النوويّ المتقدّريّ (mtDNA) إلى قيام مجموعتَيْن من الإخوة بين العيّنات الستّ عشرة التي تمّ استخراجها، لأخوَيْن المرجح أنْ يكونا بطريركَيْ عائلتيْ الرزّي والحَدَثيّ **(الجدول رقم ٥)**. وفي ما خصّ الأخَوَين الرزّي تمّ التأكدّ من النَسَب عبر مطابقة عيّنات حديثة من أنسباء هذَيْن البطريركَيْن.

Skull number	Lab number	Relatives	Sample type	Haplogroup	Match probability
353	MS11260	2A10	L Petrous bone	X2e2b1	97%
3	MS11253	3BB61	L Petrous bone	H+152	94%
353	MS11260	D6	L Petrous bone	X2e2b1	93%
744	MS11263	33B64	L Petrous bone	H9a	93%
3	MS11253	D28	L Petrous bone	H+152	78%
1	MS11251	2A19	L Petrous bone	W6b	64%
3	MS11253	D12	L Petrous bone	H+152	56%
157	MS11257	D11	R. Maxillary M1	J1d6	26%
749	MS11264	D2	L Petrous bone	K1	25%

الجدول رقم ٤: نتائج التسع مطابقات المحتملة لحَمْض النوويّ لعائلة الدويهي مع ستّ جماجم.

د. النتائج الأوَّليّة للمرحلة الرابعة من التحقيقات (دة. ندى الياس)

في هذه المرحلة من التحقيقات وبعد أنْ رجَّحَت نتائج تحقيقات الحَمْض النوويّ قيام ثلاث جماجم تُنسب إلى آل الدويهي من ناحية الأمّ وتتطابق جينيًّا وأقارب البطريرك الدويهي الذين تبّرعوا بالدم في مستشفى زغرتا: الجمجمة رقم ٣٥٣ (٩٧٪)، والجمجمة رقم ٣ (٩٤٪)، والجمجمة رقم ٧٤٤ (٩٣٪). وبما أنّ النِسَب مُتقاربة ولم تتمّ حتّى اليوم دراسة جينيالوجيّة لتحديد أّي من أقارب البطريرك الدويهي أقرب إليه جينيًّا. لذلك قرّرنا استخراج عيّنات جديدة من الجماجم بهدف تأريخها عبر الكاربون ١٤ علّنا نستطيع تحديد أيّ من الجماجم أقرب إليه. وقمنا بإرسال العيّنات الثلاث إلى مختبرَيْن: الأوّل مختبر فيلينيوس راديوكاربون في ليثوانيا[٦]؛ والثاني مختبر بيتا أناليتيك في الولايات المتّحدة الأميركيّة[٧]. وأظهرت النتائج للجمجمة رقم ٣ أنَّها لا تعود إلى فترة وفاة البطريرك الدويهي، وهي مرجَّح أنْ تكون للبطريرك جرجس عميرا الذي توفّي سنة ١٦٣٣، والتي يعود نَسَب والدته إلى عائلة الدويهي **(الصورة رقم ٢٢)**. وأظهرت النتائج أيضًا أنّ الجمجمة رقم ٧٤٤ لا تعود إلى فترة وفاة البطريرك الدويهي ولا إلى

[6] Sample from skull 3 was sent to Vilnius Radiocarbon, Mass Spectrometry Laboratory. Saulétekio ave. 3, LT-10222 Vilnius, Lithuania, funded by *Instituto Terra e Memória e Centro de Geociências da Universidade de Coimbra (project UIDP/00073/2020).*

[7] Sample from skull 353 and 744 was sent to Beta Analytic, Miami, USA, funded by *Mr. Michel Al Douaihy, Australia.*

أيٍّ من البطاركة المذكورة أسماؤهم على البلاطة الرخاميَّة المدفنيَّة التي تشكِّل واجهة المدفن الجماعيّ، بل إلى شخص دُفن قبلهم، الأرجح بين العام٩٥١ والعام ١٠٤١ ميلاديّ **(الصورة رقم ٢٣)**. أمّا الجمجمة رقم ٣٥٣ فقد أظهرت أنّها الأقرب زمنيًّا إلى البطريرك الدويهي، ولذلك رجَّحنا أنّها قد تكون جمجمته **(الصورة رقم ٢٤)**. وبذلك إنْ أخذنا بعين الاعتبار نتائج الحَمْض النوويّ ونتائج التأريخ بالكاربون ١٤، إضافة إلى النقش المدفنيّ فإنّ الجمجمة رقم ٣٥٣ هي على الأرجح جمجمة البطريرك إسطفان الدويهي. باختصار فإنّ نتائج الحَمْض النوويّ مقرونة بالتأريخ عبر الكاربون ١٤ أوصلتنا إلى اقتراح هويَّة ستّة من البطاركة: الأخوَيْن الرزّي[٨]، الأخوَيْن الحَدَثيّ[٩]، البطريرك جرجس عميرا، والبطريرك إسطفان الدويهي **(الجدول رقم ٥)**. ويهدف المشروع إلى تحديد بقايا البطريرك إسطفان الدويهي والبطاركة الخمسة عشر الآخرين المدفونين معه. ونحن اليوم ننتظر نتائج الحَمْض النوويّ على بقايا الهياكل لجمع الجماجم من جهة، ولتحديد هويّة أكبر عدد من البطاركة إن أمكن من جهة أخرى. ولا تزال التحاليل جارية وسيتمّ نشر النتائج قريبًا.

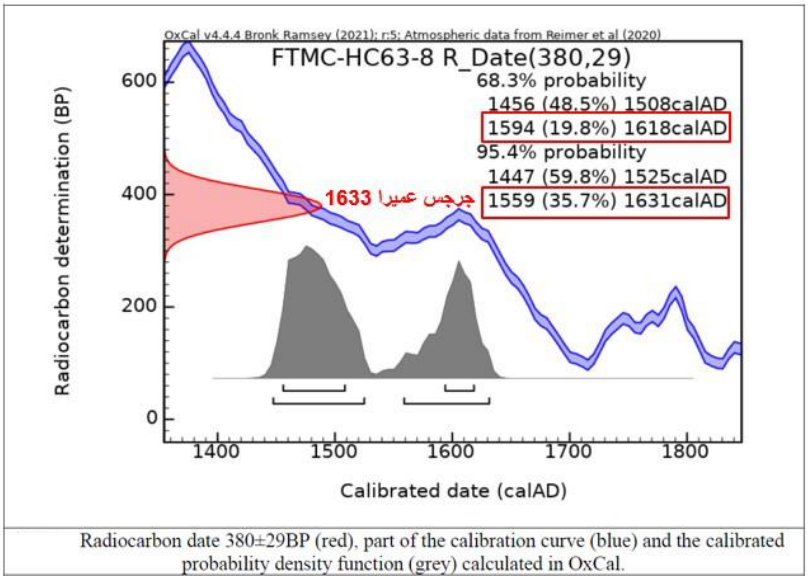

Radiocarbon date 380±29BP (red), part of the calibration curve (blue) and the calibrated probability density function (grey) calculated in OxCal.

الصورة رقم ٢٢: تاريخ الكربون المشعّ للجمجمة رقم ٣ (Vilnius Radiocarbon).

[٨] الأخوان الرزّي من بكوفا (الجماجم: ٥١ و ٦٦١): **ميخائيل يوحنّا الرزّي**: انتخب بطريركًا في العام ١٥٦٧ وتوفّي في العام ١٥٨١. **وسركيس يوحنّا الرزّي**: انتخب بطريركًا في العام ١٥٨١ وتوفّي في ١٥٩٦. نحتاج إلى العثور على جمجمة **يوسف موسى الرزّي**: الذي انتخب بطريركًا في العام ١٥٩٦ وتوفّي في العام ١٦٠٨.

[٩] الأخوان الحَدَثيّ (الجماجم: ٢ و٨٧): **بطرس حسّان الحَدَثيّ**: انتخب بطريركًا في العام ١٤٥٨ وتوفّي في العام ١٤٩٢. **وسمعان حسّان الحَدَثيّ**: انتخب بطريركًا في العام ١٤٩٢ وتوفي في العام ١٥٢٤. نحتاج إلى التحقّق ممّا إذا كنا سنجد جمجمة البطريرك **يعقوب عيد الحَدَثيّ**: الذي انتخب بطريركًا في العام ١٤٤٥ وتوفّي في العام ١٤٥٨.

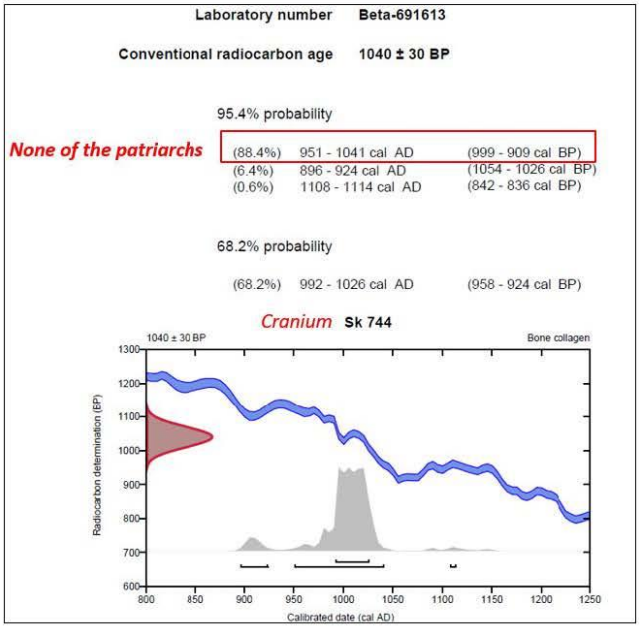

الصورة رقم ٢٣: تاريخ الكربون المشع للجمجمة رقم ٧٤٤ (Beta Analytic).

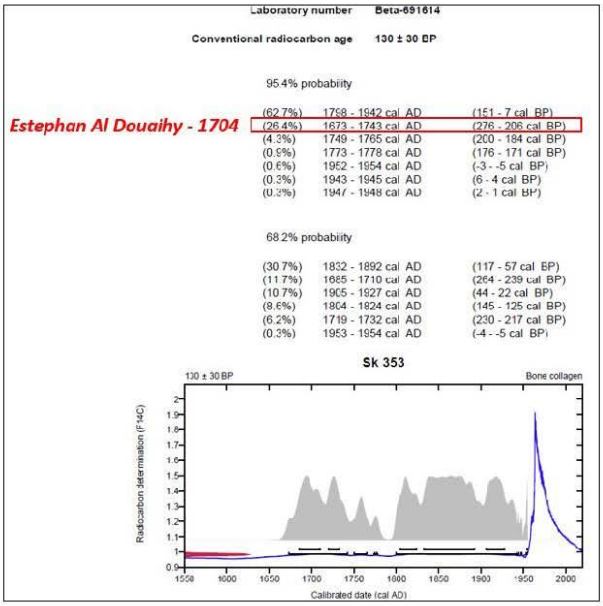

الصورة رقم ٢٤: تاريخ الكربون المشع للجمجمة رقم ٣٥٣ (Beta Analytic).

Skull number	Lab number	Sample type	mtDNA Haplogroup	Probable identification
1	MS11251	L Petrous bone	W6b	
2	MS11252	L Petrous bone	X2f	El-Hadathi
3	MS11253	L Petrous bone	H+152	
4	MS11254	L Petrous bone	J1b4a1	Omaira
51	MS11255	R Petrous bone	HV9+152	El-Rizzi
87	MS11256	L Petrous bone	X2f	El-Hadathi
157	MS11257	R. Maxillary M1	J1d6	
250	MS11258	L Petrous bone	R0a1a	
294	MS11259	R Petrous bone	J1d1a1	
353	MS11260	L Petrous bone	X2e2b1	Douaihy
405	MS11261	R. Maxillary M2	T1a8a	
661	MS11262	L Petrous bone	HV9+152	El-Rizzi
744	MS11263	L Petrous bone	H9a	None of the Patriarchs
749	MS11264	L Petrous bone	K1	
772	MS11265	L Petrous bone	U6a5a1	
1000	MS11266	L Petrous bone	T1a2	

الجدول رقم ٥: نتائج المطابقات المحتملة لتحديد أكبر عدد من جماجم البطاركة، مع الحَمْض النوويّ الحديث والتأريخ عبر الكاربون ١٤.

الخاتمة

لم تدخل هذه الدراسة في تفاصيل سيرة البطريرك إسطفان الدويهي، ولا في إنجازاته الليتورجيَّة والتاريخيَّة المهمَّة والقيّمة بالأخصّ للموارنة، ولا في مساهمته في كتابة التاريخ الماروني وفي تأسيس المدارس. فهدفنا الرئيسيّ من هذا المشروع كان تحديد رفاته ورفات أكبر عدد من البطاركة الموارنة والأشخاص المدفونين معه. فبغضّ النظر عن تمكّننا من تحديد رفاته أو لا من أجل عمليَّة التطويب، فإنّ أهميَّة هذه الشخصيَّة التاريخيَّة تكمن في أبعادها غير الماديَّة: الروحانيّة والفكريّة والتاريخيّة.

واجهنا في قبر البطاركة الموارنة في قنّوبين العديد من التحدِّيات والمفاجآت. أوّلًا، كون بقايا البطريرك إسطفان الدويهي في مدفن جماعيّ ثانويّ تمّ بناؤه لإعطاء جميع البطاركة المدفونين في قنّوبين مكانًا أبديًّا مشتركًا، ممّا يعني أنّ بقايا العديد من الأفراد كانت مترابطة، وقد تعذّر فصل بقايا كلّ شخص أثناء التنقيب. وقد تمّ استخراج بقايا جميع البطاركة المدفونين في قنّوبين باستثناء البطريرك يوسف التيّان من قبورهم الأوَّليّة، ونقلها إلى هذا

المدفن الجديد في العام ١٩٠٩. عادةً، عند نقل الرفات العظميّ، يُترك العديد من العناصر العظميّة الصغيرة من دون قصد في المكان الأوّليّ، ويتمّ جمع الجمجمة والعظام الطويلة وَحَسب. لهذا السبب لا نملك كلّ العظام من كلّ هيكل عظميّ. فالأفراد الثمانية والعشرون الإضافيّون الذين تمّ العثور عليهم في هذا المدفن كانوا على الأرجح أفرادًا دفنوا في أقدم طبقات كهف كنيسة القدِّيسة مارينا. الأدلّة التي تدعم هذه الفرضيَّة تقع خلف الجدار المبنّي في المستوى الأدنى من المدفن الجماعيّ، لأنَّه يمكننا رؤية بقايا بشريَّة قُطعت بواسطة هذا الجدار. من المحتمل أنَّه أثناء بناء المدفن الجماعيّ للبطاركة، وجد البنّاؤون الطبقات المدفنيَّة الأقدم في الكهف، وأزالوا جزءًا منها من أجل بناء مدفن البطاركة. ثمّ عندما انتهوا، نقلوا بقايا البطاركة إلى المدفن الجماعيّ الثانويّ، مع إضافة الأفراد السابقين الذين دفنوا في الكهف. لهذا السبب استعدنا بقايا أربعة وأربعين فردًا بدلاً من الستّة عشر المفترضين.

علاوة على ذلك، يضمّ هذا المدفن أفرادًا من الذكور وحَسب، ممّا يشير إلى أنّ الأفراد المدفونين الإضافيِّين هم على الأرجح من رجال الدِّين وليسوا بالضرورة من سكّان القرى المجاورة. أمّا في ما خصّ الطفلَيْن، فكان من الشائع في تلك الأيّام أنّ يترك الناس أحيانًا أطفالًا أمام الدير، إذا ولدوا في ظروف غير قانونيَّة أو فقراء أو أيتامًا. وقد يكونون مدفونين أيضًا داخل كهف الكنيسة، إذ كانوا يُعتبرون أنقياء بسبب صغر سنّهم عند الوفاة كما كان شائعًا في مواقع مسيحيَّة أخرى في المنطقة.

أمّا المرحلة الثالثة من التحقيقات فكانت تقوم على استخراج الحَمْض النوويّ القديم. لقد تمّ جمع العيّنات من الجماجم وغير الجماجم في الديمان وإرسالها إلى مختبر الحَمْض النوويّ في جامعة أوتاغو بدنيدن، نيوزيلندا. بالإضافة إلى ذلك، تمّ إجراء تحاليل الحَمْض النوويّ لأقارب الدويهي والبطاركة الآخرين في مستشفى سيّدة زغرتا، شمال لبنان، من أجل مقارنة نتائج الحَمْض النوويّ الخاصَّة بهم بتلك الخاصَّة بالرفات.

وأظهرت المرحلة الرابعة من التحقيقات تقدّمًا كبيرًا في تحديد هويَّة الجماجم في مدفن البطاركة الموارنة بوادي قاديشا. وبفضل نتائج الحَمْض النوويّ والتأريخ بالكاربون ١٤، رجّحنا أنّ الجمجمة رقم ٣٥٣ تعود إلى البطريرك إسطفان الدويهي. في حين تعود الجمجمة رقم ٣ إلى البطريرك جرجس عميرا، والجمجمة رقم ٧٤٤ إلى شخصٍ

دفن بين العام ٩٥١ والعام ١٠٤١ ميلاديّ. ما زلنا ننتظر نتائج إضافيَّة لتأكيد هويَّة المزيد من البطاركة، وسيتمّ نشر النتائج قريبًا.

تختتم الدراسة الأوّليّة هذه مسيرة طويلة من التنقيب في مدفن البطاركة الموارنة بوادي قاديشا والبحث في الرفات، مسلّطةً الضوء على أهميَّة هذا الموقع التاريخيّ والدينيّ للطائفة المارونيّة. بالرغم من التحدِّيات الكبيرة التي واجهتنا في مختلف مراحل المشروع، تمكّنّا من تحقيق تقدّم كبير في تحديد هويَّة الرفات، والعثور على معلومات قيّمة عن البطاركة المدفونين. إنّ النتائج الأوّليَّة التي توصَّلنا إليها لا تمثّل خطوةً مهمَّةً على طريق تطويب البطريرك إسطفان الدويهي فحسب، بل تفتح أيضًا آفاقًا جديدة لفهم تاريخ الكنيسة المارونيَّة وأثرها الدينيّ والاجتماعيّ في المنطقة. نتطلّع إلى استكمال التحاليل ونشر النتائج النهائيَّة قريبًا، مؤمنين بأنّ هذه الجهود ستضيف بُعدًا جديدًا إلى تاريخ الطائفة المارونيّة، وتقديرًا أكبر إلى إنجازات البطاركة المدفونين في قنّوبين.

References

- Abousamra, G. (2016). 'Syriac and Karshuni Inscriptions on Wall Paintings in the Qadisha Valley, Lebanon', *Journal of Eastern Mediterranean Archaeology and Heritage Studies*, 4 (2-3), 148-193.
- Bökönyi, S. (1970). 'A New Method for the Determination of the Number of Individuals in Animal Bone Material', *American Journal of Archaeology*, 74 , Series 2, 291-292.
- Bruzek, J. (2022). 'A method for visual determination of sex using the human hip bone', *American Journal of Physical Anthropology*, 117, 157–168.
- Chaplin, R.E. (1971). *The study of animal bones from archaeological sites*. London; New York: Seminar Press.
- Gerdau-Radonic, K., Herrera, A. (2010). 'Why dig looted tombs? Two examples and some answers from Keushu (Ancash highlands, Peru)', *Bull. Mém. Soc. Anthropol.*, 22, 145–156 https://doi.org/10.1007/s13219-010-0012-4
- Gerdau-Radonic, K., Makowski, K. (2011). 'Las sepulturas colectivas de Tablada de Lurín: una perspectiva desde la antropología biológica', in L. Vetter, S. Tellez and R. Vega-Centeno (eds.), *Arqueología Peruana: Homenaje a Mercedes Cárdenas*. Lima, Instituto Riva-Agüero, Pontificia Universidad Católica del Perú, 145-176.
- Helou, C. (2013). *Sainte Marina : moniale déguisée en habit de monie dans la tradition maronite*, Ed. Kaslik: Parole de l'Orient.

- Leroi-Gourhan, A. (1988). *Dictionnaire de la préhistoire*, Paris : Presses Universitaires de France.
- Masset, C. (1984). 'Le dénombrement des squelettes collectives, Garcia de Orta, *seria Anthropobiologica* 3, 149-152.
- Matisoo-Smith, E.A., Gosling, A.L., Boocock, J., Kardailsky, O., Kurumilian, Y., Roudesli-Chebbi, S, Badre, L., Morel, J.-P., Ladjimi-Sebaï, L., Zalouaa, P. (2016). '*A European Mitochondrial Haplotype Identified in Ancient Phoenician Remains from Carthage, North Africa*', *PLoS ONE* 11(5): e0155046. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0155046
- Nasr, R. (2019). 'L'image absidale de Qannoubine : Incarnation picturale de l'exégèse liturgique de Douaihy', *Iconographica* 18, 123-146.
- Parmentier, S. (2010). *Une nouvelle méthode d'estimation du nombre minimum d'individus(NMI) par une approche allométrique : le NMI par exclusions. : applications aux séries ostéologiques de la région Provence-Alpes-Côte d'Azur* (Thèse de doctorat), Université d'Aix-Marseille 2 , France
- Sayawa, Z. forthcomin**g**. 'The Marina Cave-Qannubine Hoard of Ottoman Akches (c. 1623 AD)'.
- Schmitt, A. (2005). 'Une nouvelle méthode pour estimer l'âge au décès des adultes à partir de la surface sacro-pelvienne iliaque', *Bmsap : Bulletins et mémoires de la société d'anthropologie de Paris*, 17(1-2), 89-101.
- Sellier, P. (2011). 'Tous les morts ? Regroupement et sélection des inhumés : les deux pôles du recrutement funéraire', *Thanat'Os*, 1, 83-94.
- White, T. (1953). 'A method of calculating the dietary percentage of various food animals utilized by aboriginal peoples', *American antiquity*, 18, 396-398.
- Wild, S. (1973). *Libanesische Ortsnamen : Typologie und Deutung*, Beirut: Orient-Institut Beirut; Ergon Verlag in Komission.
- Zalloua, P. Elias, N., Senovska, A., Collins, C., Gosling, A., Karam, S., Iskandar, A.-J., Matisoo-Smith, E., (2023). 'Ancient DNA investigation of the 17 Maronite Patriarchs of Qanubin', *Journal of Cultural Heritage* 60, 108-113, ISSN 1296-2074, https://doi.org/10.1016/j.culher.2022.12.006.

المرجع

- سركيس، حسّان سلامة، (٢٠٠٤)، **وادي قاديشا، مشوار عبر التاريخ**. بيروت: منشورات وزارة السياحة.